دور المذهب الأشعري والتصوّف السنّي في تشكيل ملامح الهوية الدّينيّة في ليبيا

أ.د. محمد الرّزقي/جامعة الزيتونة/ تونس

تمهيد:

عرف العالم في الثلث الأخير من القرن الماضي تحوّلات عميقة، يُعدّ أبرزها سقوط جدار برلين وتفكّك الاتّحاد السوفياتي، ممّا عجّل بظهور نظام دولي جديد سعى للسيطرة على دول العالم وصهرها في بوتقته دون مراعاة لخصوصيات الشّعوب الثقافيّة والدينيّة والاجتماعيّة.

تمثّل مسألة الهوية هاجسا فكريّا لأغلب نخب العالم، وتحدّيا واقعيا للكثير من الشعوب، ولعلّ سؤال الهوية يزداد إلحاحا في العالم الإسلامي وخاصة في الدول العربية التي شهد الكثير منها انتفاضات شعبية عارمة، استطاع بعضها الإحاطة بأنظمة عتيّة كما هو الحال في ليبيا.

وتنتمي ليبيا إلى دول المغرب العربي والتي تدين جميعها بالإسلام فقد تمّ فتحها مبكرا وتحديدا في العشرية الثانية من القرن الأول للهجرة، ممّا أثّر بعمق في الشخصيّة اللّيبية وصاغ جانبا هامّا من كينونتها.

وتدين الأغلبية الساحقة من سكّان ليبيا بالإسلام، وقد ثبت منهج الإمام الأشعري (ت324هـ/936م) في العقيدة ومذهب مالك (ت179هـ/795م) في الفقه وطريقة الجنيد (ت297هـ/910م) السالك في التربية، لكن في السنوات الأخيرة وبعد سقوط نظام معمّر القذّافي (ت2011م). برزت بعض التيّارات التي ناصبت العداء للأشاعرة والصوفيّة، ودعت إلى تأسيس هوية جديدة لليبيا. لذلك يطرح اليوم هذا المؤتمر إشكالية الهوية الدّينيّة في ليبيا.

لكن ما علاقة سؤال الهوية بالنظام العالمي الجديد؟ وهل من علاقة بين الأوضاع الداخليّة وسؤال الهوية الدينيّة؟ وما هي مشروعية خطاب كلّ منهما؟ وهل أنّ خطابهما اليوم قادر على مواجهة التحدّيات الراهنة؟ وهل من سبيل إلى تجديد المدرسة الأشعريّة والمدرسة السنّية؟.

- تعريف الهوية الدّينيّة ودواعي طرح هذه الإشكاليّة

1) تعريف الهوية الدينيّة:

تعتبر كلمة الهُوية، بضمّ أوّلها، كلمة حديثة لم تعرفها معاجم اللغة العربية وهي مقابلة لكلمة (Identite) وإن عرفت كلمة أخرى قريبة منها وهي الهوية والتي تمثل الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق[1]، ويرى محمد عابد الجابري (ت2010م) أنّ الهُوية بالضمّ والهَوية بالفتح تعني المعنى نفسه باعتبارها كلمة مولدة من الهو قد اشتقّها المترجمون القدامى لينقلوا بواسطتها إلى العربية المعنى الذي تؤديه "هيست" بالفارسية وكلمة "إستين" باليونانية، أي فعل الكينونة في لغات الهند أوروبية والذي يربط بين الموضوع والمحمول[2].

والهوية تعني أساسا التّمايز عن الأغيار مقارنة بالحقيقة الماهية. فالحقيقة تعني أنّ الشيء ثابت وجوده في الخارج والماهية تفيد المعنى العامّ "فالشيء باعتبار تحقّقه يسمّى حقيقة وداتا واعتبار تشخصّه يسمّى هوية، وإذا أخذ أهمّ من هذا الاعتبار سمّي ماهية[3].

وقد استقرّ معنى الهوية ليدل على ما به الشيء هو بوصفه وجودا متميزا عن غيره[4]، لذلك فكل فرد له هوية تتكون من سمات متعددة وله مشاعر وانتماء تجاه أسرته ودائرة أصدقائه وقوميته ومكان ولادته ومكان إقامته والمؤسسة التعليمية التي درس بها[5].

أمّا الهوية الدينيّة فهي نمط من الهوية تتشكّل على قاعدة الانتماء إلى معتقد ديني أو فرقة أو مذهب حيث أن مقوم الدين هو العامل الحاسم في بناء وتكوين هذا النوع من الهوية[6]. وتشمل الهوية الدّينيّة الأفراد والجماعات والأمم لكن ماهي دواعي طرح سؤال

1- الجرجاني، علي بن محمد الشريف: التعريفات مكتبة لبنان ط1 / 1990 ص278.

2- الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي ط1 / 1986، 1/ 821

3- م. ن 1 / 821

4- جماعة، محمد، الهوية متعدّدة الأبعاد الراصد التنويري عدد 2009/5، ص39

5- ابن دنيا، سعدية، الهوية الدينية وسؤال الاختلاف مجلة مقدمات جامعة وهران 2 الجزائر العدد 4 سبتمبر 2017م، ص70

6- الهزايمة، محمد عوض، قضايا دولية تركة قرن مضى وقرن آتى دار حوران الأردن 1994م، ص22

الهوية اليوم؟

2) **دواعي طرح إشكالية الهوية**

أ- سؤال الهوية والعولمة.

مثّلت حرب الخليج الثانية منعرجا هامّا في التاريخ المعاصر، إذ مكّنت الولايات المتحدة الأمريكية من زيادة سيطرتها الاقتصاديّة والعسكريّة والثقافية، فصارت تقوم بوظيفة توزيع الأدوار. وازدادت هذه الهيمنة ضراوة بعد أحداث 11 سبتمبر 2011م، وقد أفرزت هذه الهيمنة أدوات جديدة للسيطرة، لعلّ من أهمّها العولمة والتي تعدّ لحام لمجتمعات العالم ... مهما تباعدت بينهما المسافات ويتشارك فيها كلّ البشر في الرُؤى والخِبرات والتحدّيات[1]، ممّا أدّى إلى تجاوز الحدود الوطنية أو حدود الدولة الأمر الذي جعل العالم يصبح مجالا اجتماعيا واحدا لا حدود له نسبيا[2] نظرا لسرعة نشر المعلومات والمكتسبات التقنية والهدف باختصار أن يعيش العالم كلّه مثلما تعيش أريكا[3]، لذلك تسمّى العولمة بالأمركة[4]. وتسعى هذه القوّة العظمى لنشر المفاهيم والقيَم التي تخدم كما وتدعم تفوّقها ولا تظهر أي اهتمام بخصوصيات الشعوب الأخرى وقد عملت جاهدة على حصر الدين في بعده الفردي وإفراغ الأديان من محتواها العقائدي والتشريعي والروحي والأخلاقي تمهيدا لتوحيدها تحت ظل دين عالمي واحد فتم دعم نظرية التقريب بين الأديان والسعي لدمجها باعتبار وحدة أصلها وعودتها إلى الدين الإبراهيمي والذي يمثّل مجالا رضا تذوب فيه جميع الفروقات الجوهرية بين هذه الأديان.

ب- سؤال الهوية والأوضاع الداخليّة.

مثّل القضاء على الدّولة العثمانيّة واستباحة الأراضي الإسلامية من قبل القوى الأوروبيّة الصّاعدة أحد العوامل الرئيسيّة في طرح سؤال الهوية.

1- عامر، مصباح، الاتجاهات النظرية في تحليل العلاقات الدولية ديوان المطبوعات الجامعة الجزائر 2006 ط 2، ص34

2- بليس، جون وسميت، ستيف، عولمة السياسة العالمية ترجمة مركز الخليج للأبحاث دبي 2004م، ص 306

3- تشومسكي، نعوم، ماذا يريد العم سام، ترجمة عادل المعلم دار الشروق ط1 / 1998م، ص 101

4- راجع: إسماعيل، فضل الله محمد، العولمة السياسية وانعكاساتها وكيفية التعامل معها بستان المعرفة ط1 مصر 1999م، ص10

فقد عملت هذه القوى الأوروبيّة، سواء في المشرق أو المغرب، على طمس الهوية الإسلامية وتغيير طبيعة المكان وتحويل عقلية الإنسان ممّا جعل من هذه الإشكالية محورا قارا في فكر رجال النهضة والذي انبطحت بعهدتهم مهمة بلورة معنى للهوية وصياغة إجابات ما ينبغي للمجتمعات الإسلامية أن تتبنّاه حتّى تخرج من مرحلة الانكماش والتخلّف وتعود للإسهام من جديد في الحضارة الكونية.

فنجد جمال الدين الأفغاني (ت1897م) يدعو إلى فكرة مركزية في جلّ مؤلّفاته والمتمثّلة في المحافظة على الهوية الإسلامية والمستمدة من القرآن الكريم أساسا والتي تعدّ الضمان الوحيد للمسلمين حتّى يستأنفوا دورهم الحضاري من جديد[1]، لتمثّل الهوية الإسلامية حصن الدّفاع ضدّ الاحتلال وأداة هامّة بأيدي حركات التحرّر.

وازداد الاهتمام بمسألة الهوية الإسلامية خاصة بعد احتلال فلسطين سنة 1948 من قبل الحركة الصهيونية بعد تعاونها مع بريطانيا ممّا حوّل الدين إلى عنصر هام من عناصر المقاومة خاصة أن الحركة الصهيونية انبنت أيديولوجيتها على جملة من العقائد اليهودية، وقد تحصّلت الكثير من الدول العربية على استقلالها من المحتل بداية من منتصف القرن الماضي ونالت ليبيا مثلا استقلالها سنة 1949 على إثر صدور القرار الأممي رقم 289 وعقدت أول جمعية تأسيسية سنة 1950 برئاسة مفتي طرابلس وقاد هذا الأمر إلى إعلان استقلال المملكة الليبية المتحدة واختيار إدريس السنوسي (ت 1983 م) ملكا لها.

وقام مشايخ الطريقة السنوسية بدور عظيم في تحقيق هذا الاستقلال ويكفي أن نذكر الشيخ عمر المختار (ت1931م) شيخ زاوية القصور بالجبل الأخضر والدي خاص ضدّ المحتلّ الإيطالي ما يزيد عن مائتين وخمسين معركة في أقل من سنتين بشهادة القائد العام للإيطاليين.

وتولّى أحد شيوخ العائلة السنوسية الحكم إلى أن تمكن معمّر القذافي في (ت2011م) من الانقلاب عليه وتأسيس نظام جديد استمر لأكثر من أربعين سنة ليتم إنهاء حكمه سنة 2011 وتعرف السنوات العشر الأخيرة بروز جملة من التيّارات الاسلامية وعلى رأسهم المداخلة والدين أعلنوا صراحة ودون مواراة معادتهم للمنهج العقدي السائد في البلاد وهو

1- راجع: عمارة، محمد، بين حقائق التاريخ، دار السلام القاهرة 2009 ص 207

المنهج الأشعري واعتبروه من المناهج الفاسدة فضلا عن معاداتهم الشديد لسائر الطرق الصوفية.

فهل من السّهل تغيير البلاد وإزالة أركانها؟.

- **دعائم الهوية الدّينيّة في ليبيا**

1) المدرسة الأشعرية:

ظهرت المدرسة الأشعرية خلال القرن الثالث للهجرة على يد مؤسسها الإمام أبو الحسن الأشعري (ت 324هـ / 936م) وحافظت هذه المدرسة على وجودها إلى اليوم الناس هذا وقد انتشرت في أغلب أرجاء العالم الإسلامي.

وعرفت إفريقية هذا المنهج مبكّرا على يد الإمام أبو بكر بن عبد المؤمن القيرواني (370هـ /980م) لتتحوّل القيروان خلال القرن الرابع للهجرة إلى أحد أهمّ مركز نشر الأشعرية[1]. وتدعّم هذا المؤمن أكثر بقيام الدولة الموحّدية التي جعلت من الأشعرية المذهب الرسمي للدولة وألف رأس السلطة الموحّدية في علم الكلام من خلال رسالة العقيدة المرشدة وتبنت بعد ذلك المؤسسات التعليمية الكبرى تدريس هذا المذهب من أمثال جامع الزيتونة والقرويين والأزهر فنشأت أجيال من علماء المغرب العربي على هذا المنهج بما فيهم علماء ليبيا والذين ألفوا في هذا الفن وأقروا المكتبة الإسلامية بمؤلفاتهم المتنوعة ويكفي أن نلقي نظرة على كتـاب: (عناية علماء البلاد الليبية بالتأليف في المباحث الكلامية) لصاحبه محمد سالم العجيل لندرك مقدار تمكن هؤلاء العلماء من مباحث أصول الدين، أمثال الشيخ الصادق العبادي المالكي (ت1138هـ/1725م) صاحب الشرح الماتع على متن ابن عاشر والذي سمّاه "إرشاد المريدين لفهم معاني المرشد المعين على الضروري من علوم الدين"، والذي فصل في بدايته أهل الاعتقاد على مذهب الإمام الأشعري (ت 324هـ/936م).

أمّا الشيخ عبد السلام الأسمر (ت880هـ/1475م)[2]. فقد اعتنى عناية خاصة بتدريس المذهب الأشعري وكان يخصص له مجلسه الأصل نظرا لأهميته فضلا عن مؤلفه

1- النجار، عبد المجيد، فصول في الفكر الإسلامي، دار الغرب الإسلامي بيروت 1992، ص 28

2- الأسمر، عبد السلام، الوصية الكبرى ط1 / 1976م، ص 3

في هذا العلم والذي يحمل عنوان ما يجب في حق الله عز وجل وحق رسله عليهم السلام وحق الملائكة ويقول الإمام عبد السلام الأسمر بخصوص علم التوحيد ومؤلفه هذا "أوصيكم أيها الإخوان ... فعليكم بالتوحيد ...وعليكم بتعليم أولادكم وأزواجكم ومماليككم عقائد الإيمان فمن لم يعرف العقائد فليس بعارف فقد وضعت لكم عقيدة في التوحيد فتخرجكم من التقليد ففيها عشرون ورقة ولا زيادة عليها فإن لم تقدروا على فهمها فعليكم بعقائد الإمام السنوسي" داعيا إياهم إلى النظر ومعرفة الدليل والبرهان قائلا : "فليس من مشايخنا مقلد ولا مشكوك في إيمانه"[1]، ممّا يجعل البحث في الفكر الأشعري "ليس مجرد بحث تراثيا فحسب ولكنه بحث يتداخل فيه الماضي بالحاضر وترتبط فيه الصناعات الإيمانية لكثير من مسلمي اليوم بقناعات كثيرة من مسلمي الأمس ... فهي ليست دراسة لماضي ولي وأدبر ولكنها قبل كل شيء دراسة لواقع ثقافي في ديني معيش"[2].

فقد ساهمت هذه المدرسة في تشكيل العقائد الكبرى لأغلب اللّيبيّن من خلال اعتمادها التنزيه منهجا ثابتا لها واتّخاذها من قوله تعالى " **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** "[3] أصلا كلّيا في باب التوحيد فترد هذه الأدلة عل المشبّهة والمجسّمة الذي يشبهون الله بخلقه كما تثبت الصفات التي نسبها الله لنفسه وتفند آراء النفاة والمعطلة لكن بالمقابل توحد بعض الصفات التي وصف الله بها نفسه مثل الوجه واليد والاستواء والتي يوحى ظاهرها بوحي شبهة التشبيه فقد أولوها مع يتوافق ومبدأ التنزيه رغم أنّ الصحابة والتابعين لم يؤولوا هذه الصفات بل كانوا يتلقّون هذه المسائل بلا بحث ولا سؤال لأنهم علموا المقصد الإجمالي نظرا لتضلّعهم في اللغة أولا وعمق إيمانهم ثانيا زيادة على أن الانشغال بالبحث في هذه المسائل لم يألفوه وإنما خوض فيه عند دخول أمم كثيرة للإسلام حملت معها ثقافتها السابقة[4].

ولعلّ من عِداء هذه التيّارات المعاصرة للأشعرية هي مسألة التأويل بالذات وذلك إتباعها لما انتهاجهم شيخهم ابن تيمية (ت728هـ/1328م) والذي يرفض القول بالمحار في القرآن معتبرا أن ألفاظ القرآن يراد بها حقيقتها التي يؤصل الكلام إليها فأثبتوا الله وجها

1- م. ن، ص 3

2- البختي، جمال علال، مقدمة تحقيق مقدمات المراشد في علم العقائد، مكتبة الثقافية الدينية ط 1/ 2011 ص6

3- سورة الشورى: الآية 9

4- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير دار سحنون دت 163/8

حقيقيا ويدا حقيقية وعينا حقيقة وقبضة حقيقية وساقا حقيقية ونزولا حقيقيا ونحوها من الصفات فهي عندهم حقيقية لأن القرآن يفيد هذا المعنى أما الكيفية فلا يحدد دونها وتعد وسطية هذا المذهب من بين الأسباب التي كتب له القبول عند الخاصة والعامة فضلا عن عدم استسهاله مسألة التكفير ويكفي أن مؤسس المذهب في احتضاره قال " لا أكفر أحدا من أهل القبلة لأن الكل يشيرون إلى معبود واحد وإنما هذا خلاف في العبارات[1]، كما أنّهم لا يكفرون أصحاب المعاصي فهم عداة وليسو كفار ولا يخرجهم ذلك من الإيمان.

2) المدرسة الصوفية السُّنية

شكل التصوّف السنّي بمختلف طرقه ملاذا روحيا آمنا وحصنا اجتماعيا ثابتا لأغلب فئات المجتمع اللّيبي وقد أثّر التصوّف بعمق في الشخصية الليبية وطبع سلوكاتها وفلسفتها في الحياة.

وقد عرفت ليبيا الكثير من طرف الصوفية مثل الشاذلية والقادرية والتيجانية إلا أن أكثر هذه الطرق تأثيرا نجد الطريقة الأسمرية المتفرعة عن الطريقة العروسية والتي مازالت فاعلة إلى يوم الناس هذا.

كما نجد الطريقة السنوسية والتي قادت الكفاح المسلح ضد الاحتلال الايطالي واستطاعت تأسيس حملة من الكيانات السياسية والروحية القوية وتمكنت أيضا من تطوير مفهم الزاوية وإخراجها من الأدوار التقليدية والصور النمطية وجعلت منها مركزا معرفيا وسياسيا بعبر عن الهوية الإسلامية ويحفظ لليبيّين وجودهم وكيانهم لم تعرف ليبيا عبر تاريخها الطويل انتشارا للتصوف الفلسفي ويعود ذلك إلى طبيعة المجتمع والذي يغلب عليه البداوة والبساطة وينفر عادة من التعقيد فضلا عن طبيعة التصوف الفلسفي ذاته والذي يعمد أصحابه إلى مزج أذواقهم الصوفية بأنظارهم العقلية مستخدمين في التعبير مصطلحا فلسفيا استمدوه من مصادر متعدّدة[2]، واهتمّوا بمواضيع غامضة مثل حقائق الموجودات

1- الذهبي، شمس الدّين، سير أعلام النبلاء مكتبة الصفا، ط 2003/1 88/15

2- الموسوعة الفلسفية العربية 263/1

العلوية والسلفية[1]، وولعوا بعلم أسرار الحروف وتصرف النفوس الربانية في عالم الطبيعة[2].

وساهمت عدّة عوامل في ترسيخ التصوف السني داخل المجتمع اللّيبي وتحويله إلى سمت عام وضرب من ضروب الثقافية الاجتماعية ولعل من أهم هذه العوامل الطابع السني للتصوف والذي تميزت به أغلب الطرق الصوفية في ليبيا والتي كانت حريصة على بث العلم والالتزام بحدود الشرع لذلك نجد الشيخ علي بن الصادق العيادي الجبالي(ت 1138هـ/1725م) يدعو إلى المحافظة على الصلوات الخمس في الجماعة فإن ذلك أصلا كبيرا وفضلا كثيرا[3]. مؤكّدا على ضرورة إتباع السنة واجتناب البدعة والحذر من الاجتماع بالصّبيان واستعمال آلات اللّهو كالدف والمزمار وأن ذلك ليس من سنّة النبي المختار[4]. يعتبر هؤلاء المشايخ أنّ الشريعة مفتاح لعلم الحقيقة ومن أتى الباب بلا مفتاح لا يطمح في الدخول[5]، لذلك دعوا إلى تعلم العلم والعمل به ومن لم يعمل بعلمه فهو من الجهال[6] ومحروم من دخول باب المعرفة.

كما يحرض مشايخ التصوف في ليبيا على تدعيم الأبعاد التربوية بالتأكيد على تحقق بصفات التواضع والمحبة لكل الناس فيقول الشيخ عبد السلام الأسمر (ت 880هـ/ 1475م) وعليكم بالتواضع لجميع الناس بار وفاجر فإن كان تقيا فاقتبسوا منه نورا وبركة وإن كان فاجرا ففجوره على نفسه وتواضعوا ولا تتكبروا فإن التواضع طبع الأولياء والتكبر طبع الشيطان الرجيم[7]، معتبرا أنّ التأدّب مع الجميع المسلمين هو طريق الحق والصواب[8] داعيا إلى الرفق وإظهار المحبة والشفقة وعدم ظلم أي عبد من عباد الله ولو كان يهوديا

1- ابن خلدون، المقدمة، دار الجبل بيروت د ت ص 520
2- راجع ابن خلدون، شفاء السائل بتهذيب المسائل، الدار العربية للكتاب تونس 2006 ص 215
3- ابن صادق، علي، إرشاد المريدين لفهم معاني المرشد المعين، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ط 1 /2001 ص713
4- م. ن، ص 724
5- ابن عجيبة، أحمد بن محمد، الفتوحات الإلهية دار الكتب العلمية بيروت د ت ض 65
6- الأسمر، عبد السلام، الوصية الكبرى ص 14
7- م ن ص 7
8- م ن ص 8

أو نصرانيا[1]. وساهم مثل هذا المنهج التربوي في تحقيق التماسك الاجتماعي خاصة في مجتمع قبلي يحرص على توقير الكبير وإنزال الناس منازلهم والمحافظة على قيم التضامن ومال إليكما يقوله الامام عبد السلام الأسمر في حق قبيلة القواتير التي ينتمي إليها وعليكم بالمحبة في القواتير وتعظيمهم وزيارتهم والتواضع لهم فهم مني وأنا منهم[2].

لكن اليوم هل المذهب الأشعري والتصوّف السنّي قادران على مواكبة التحوّلات الراهنة؟

- **سُبل تجديد مقوّمات الهوية الدينيّة في ليبيا:**

يُعدّ المذهب الأشعري والتصوّف السنّي من المقوّمات الراسخة للهوية الدّينيّة في ليبيا، ويصعب في حقيقة الأمر محوهما من النفوس لكن يمكن تشويهما من خلال تسليط الضوء على بعض الانحرافات واعتماد أسلوب المغالطات وإثارة التناقضات مما يمكن من تكوين أجيال مستقبلية معادية لمقومات هويتنا ومفصولة عن دينها منهجيا وعقديا وروحيا.

ويزداد الأمر تعقيدا مع غياب الاستقرار السياسي وتسرب الكثير من هذه التيارات المعادية للأشاعرة والصوفية إلى مؤسسات الدولة مثل وزارة الأوقاف مما يمكنها من توجيه الخطاب الديني والتأثير في القرار السياسي خاصة أن الأطراف المتصارعة والاستفادة منها.

وتتوفّر هذه التيّارات على دعم مالي وإعلامي كبير يمكنها من الوصول إلى فئات واسعة من المجتمع الليبي وخاصة فئة اليافعين والشباب والذين يتميزون عادة بقوة العاطفة والرغبة الجامحة في تغيير واقعهم فيوهمونهم أن المبتدعة من الأشاعرة والصوفية هم من يشدون ليبيا إلى الوراء.

وأرى من خلال تجربتي المتواضعة في هذا الباب ضرورة الخروج بجملة من التوصيات العملية المتعلقة بتجديد المذهب الأشعري وإصلاح التصوف السني وتنقيتهما مما علق بهما من الشوائب وتمكينهما من قدرة على مواكبة المتغيرات العالمية والمحليّة.

1- م ن ص 16

2- م ن ص 11

(1) سبل تجديد المذهب الأشعري

اقترن ظهور المدرسة الأشعرية في التاريخ الإسلامي بمسألة التجديد، فقد استطاع هذا الفكر الناشئ حل الكثير من المعضلات العقدية والفكرية مثل مسألة أفعال العباد وخلق القرآن ونبوّة النساء.

أصيب هذا الفكر بالجمود مثله مثل الكثير من العلوم الإسلامية لذلك لابد من تجديد هذا الفكر وأول مظاهر التحديد يجب أن تتعلق بالإنتاج المعرفي لهذه المدرسة والتي يغلب عليها تحقيق النصوص والتعلق بالمتون، ونادرا ما نجد مؤلفات تبسط مضامين هذا الفكر بلغة معاصرة، وأن وجدت هذه المؤلفات فإنها تسير على منهج الأوائل فتبدأ هذه المؤلفات بذكر الواجب العقلي والممكن والمستحيل، وأتذكر لما أصدرت كتابي السديد في أصول التوحيد قواعد عقيدة التوحيد عند الأشاعرة وكان خاليا من مثل هذه المقدمات فتلقاه البعض بالامتعاض واعتبروا هذه المقدمات قسم أصيل لا يمكن الاستغناء عنه .

كما يغلب على أساليب التدريس الموجهة للعامة الاهتمام بالشروح والحواشي والإسهاب في تتبع شروح الشروح مثال ذلك تعاملهم مع مؤلفات الإمام السنوسي (ت 895هـ/1496م) أحد أهم الأشاعرة المتأخّرين.

واعتماد مثل هذه الطرق في التأليف والتدريس تنفر عامة الناس ويتم استقطابهم من قبل التيارات الأخرى التي تعتمد البساطة ويقوم خطابها أساسا على اعتماد الآية والحديث مجرداً عن الأدلة العقلية لذلك لابد من تصحيح مناهج التأليف وتغيير أساليب الاستدلال وتجديد الأمثلة المضروبة وجعلها أمثلة مستقاة من الواقع مع الاستعانة بالعلوم الحديثة.

واعلم أنّ مضامين المذهب الأشعري هي في الأصل موجهة للخاصة وبعض أصناف العامة فيجب أن لا نشوش عليهم عقائدهم فإنه إذا تليت عليهم هذه البراهين وما عليها من الإشكالات وحلها لم يؤمن أن نعلق بأفهامهم مشكلة من المشكلات[1].

لذلك يجب صياغة مدونة أشعرية جديدة مبسطة ومفهومة وخالية من الاستطرادات في المسائل التفصيلية ويراعى فيها أذواق أهل العصر اللغوية وقدراتهم الفكرية.

1- الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، دار الكتب العلمية بيروت ط1 /2004 ص 14

وقد راعى علماء الأشاعرة مثل هذه الشروط في زمانهم فيورد صاحب المواهب القدسية واقعة تخص والده فيقول لما قرأ على الشيخ الإمام السنوسي عقيدته الصغرى وختمها عليه بالتفسير غير ما مرة رأى أنه قد ثقل عليه درسها وحفظها لكبيرة وكثرة همومه فطلب من الشيخ -رضي الله عنه- أن يجعل له عقيدة أصغر من الصغرى بحيث يمكن درسها وحفظها فعمل له هذه العقيدة وكتبها له بخطه[1].

ويجب أن توكل هذه المهمة لنخبة الأبرع في فهم مسائل المذهب الأشعري وفهم مقتضيات العصر لأب مدرس علم التوحيد في هذا الزمان مثله مثل الطبيب إن لم يكن حاذقا ثاقب العقل رصين الرأي كان ما يفسده بدوائه أكثر مما يصلحه[2]، وهو ما نراه اليوم فنجد مدرسا يقرأ شرحا ولا يفهم معناها أو يعجز عن تبليغ هذه المعاني لعامة الناس، ونجد أكاديميا يتخفى خلق ألقابه وعاجز عن تقديم مشروع نقدي لجملة القضايا المستحدثة فالمطلوب في هذا الزمان إعادة دراسته المسائل الجديدة المندرجة تحت موضوع علم الكلام ونقدها وحصرها وتتبعها فالمطلوب إضافة المسائل الجديدة وإعادة الاستفادة من البحوث المعاصرة[3].

(2) طرق إصلاح التصوّف السنّي

اعترت الممارسات الصوفيّة الكثيرة من الانحرافات ومرد ذلك التراجع الحاد لطرق السير والسلوك والسيطرة الكبرى لطرق التبرك وقد حولت هذه الطرق مهمة التربية إلى منصب بتوارثه الأبناء عن الآباء وغيبوا تلك الشروط الصارمة المطلوبة في مشايخ التربية مثل العلم الصحيح والذوق الصريح والهمة العالية والحالة المرضية[4] وتغاضوا عن شرط التضلع في علوم الشرعية والذي يعد من أهم الشروط فيقول الإمام عبد الوهاب الشعراني (ت973ه/1565م) وقد أجمع القوم على أنه لا يصح للتصدر في طريق الله عز وجل

1- الملائي، محمد بن عمر، المواهب القدسية في المناقب السنوسية مخطوط رقم 22668 بدار الكتب الوطنية، تونس، ص 211

2- الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، ص 14

3- فودة، سعيدة عبد اللطيف: تفنيد الأسس النظرية والعلمية للإلحاد، دار ضياء للنشر والتوزيع الكويت 2013م، ص 30

4- الحيري فلاح، العهد والبيعة عند السادة الصوفية دار الكتب العلمية بيروت ط1 /2002م، ص 89

إلا من تبحر في علم الشريعة وعلم منطوقها ومفهومها وخاصها وعامها وناسخها ومنسوخها وتبحر في لغة العرب حتى عرف مجازاتها واستعارتها [1].

كما يجب أن يكون هذا الشيخ قد تربّى على يد غيره وعرف المسالك حتّى يقي من يقتدي به المهالك وأن يكون له سياسة في التربية وإحسان وصبر ويوصلهم إلى الله برفق ولين وفوق هذا يرى نفسه دونهم[2]. وقد أجمع الصوفية على أن من به خمسة لا تصح مشيخته وهي: جهل بالدين، وإسقاط حرمة المسلمين، ودخول ما لا يعني، واتباع الهوى في كل شيء، وسوء الخلق من غير مبالاة[3]. وللأسف هذا النوع من الشيخ نجد الكثير منهم اليوم يتصدر للتربية في ليبيا ممّا جعلهم أبعد ما يكون عن طريق السير فهجروا المجاهدات ومالوا إلى الراحات وتساهلوا مع أصحاب البدع والدعاوي، واعتقدوا أن قراءة الكتب الصوفية هي التي تصير المزيد صوفيا محققا، فيجيبهم جلال الدين السيوطي (ت 911هـ/1505م) بقوله: فوالذي خلق الجنة وبرأ النسمة لو قرأت من هذه الكتب عدد رمل عالج[4] في مدة عمر نوح لم تصر صوفيا حتى يلج الجمل في سم الخياط[5]، ممّا جلب للتصوف تهمة الزندقة والمروق من الدين، وولع هؤلاء أيضا بعلوم لا علاقة لها بالتصوف ولا بالدين مثل علوم الحرف والعدد وعلم الأوقاف واحترفوا كتابة الأحجبة حتى عدوا كتاب شمس المعارف الكبرى لأحمد علي البوني (ت622هـ/1225م) من أعمق كتب الحكمة وهو في الأصل كتاب سحر بامتياز وقد حذر شيخ عبد السلام الأسمر (ت880هـ/1475م) من مثل هذه الانحرافات واعتبر أعمال السحر كفر وردة، وحرّم الخطّ والتقازة والكهانة والجدول والعزائم[6].

وفي الختام يُمكننا القول أنّ مقوّمات الهوية الإسلامية في ليبيا والتي عنيدا بدراستها في هذا البحث والمتعلقة بالأشعرية والتصوف السني هي مقومات راسخة وعميقة لكن يجب

1- الشعراني، عبد الوهاب، الطبقات الكبرى دار الكتب العلمية بيروت ط1 /1998 ص 10
2- راجع الشعراني عبد الوهاب، الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، مكتبة المعارف بيروت 1993 ص 71
3- الشافعي، أحمد بن محمد، المفاخر العلمية في المآثر الشاذلية دار الكتب العلمية بيروت ط1 /2004 ص 112
4- عالج: رمال معروفة في البادية وهو ما تراكم من الرمل ودخل بعضه (لسان العرب 249/10)
5- السيوطي، جلال الدين، تأييد الحقيقة العلمية وتشييد الطريقة الشاذلية دار القلم العربي حلب ط1 /2002 ص121.
6- الأسمر، عبد السلام الوصية الكبرى ص17.

على النخب العلمية التقليدية والأكاديمية والممثلة لهذه المدارس الابتعاد عن دعوى الكمال والطهورية والتسلّح بالرغبة الصادقة في إزالة كل الشوائب وتطوير هذه المدارس العريقة من خلال ترسيخ النظرة النقدية.

كما يجب على هذه النّخب أنّ تطوّر من نفسها وتتقن أساليب الجدل والمناظرة وتستفيد من كل العلوم الحديثة استعدادا لطور آخر أكثر خطورة والمتمثل في ظهور موجات عالية من الالحاد بدأت طلائعها في الظهور منذ سنوات بمنطقة المغرب العربي فضلا عن الاستعداد لمناظرة القاديانية والبهائية فقد عرف كلّ منهما توسّعا وتمدّدا في كلّ من تونس والجزائر والمغرب وليبيا ليست بمنأى عن هذا الخطر.

المصادر والمراجع:

1- إسماعيل فضل الله محمد، العولمة السياسية وانعكاساتها وكيفية التعامل معها بستان المعرفة ط1 مصر 1999.

2- الأسمر عبد السلام، الوصية الكبرى ط1 / 1976.

3- البختي جمال علال، مقدمة تحقيق مقدمات المراشد في علم العقائد، مكتبة الثقافية الدينية ط 1/ 2011.

4- بليس جون وسميت ستيف، عولمة السياسة العالمية ترجمة مركز الخليج للأبحاث دبي 2004.

5- تشومسكي نعوم، ماذا يريد العم سام ط1 / ترجمة عادل المعلم دار الشروق ط1 / 1998.

6- الجرجاني علي بن محمد الشريف التعريفات مكتبة لبنان ط1 / 1990.

7 - جماعة محمد، الهوية متعددة الأبعاد الراصد التنويري عدد 2009/5.

8- الحيري فلاح، العهد والبيعة عند السادة الصوفية دار الكتب العلمية بيروت ط1 /2002.

9- ابن خلدون، المقدمة، دار الجبل بيروت.

10- شفاء السائل في تهذيب المسائل، الدار العربية للكتّاب تونس 2006.

11- ابن دنيا سعدية، الهوية الدينية وسؤال الاختلاف مجلة مقدمات جامعة وهران 2 الجزائر العدد 4 سبتمبر 2017.

12- الذهبي، سير اعلام النبلاء مكتبة الصفا ط 2003/1.

13- السيوطي جلال الدين، تأييد الحقيقة العلمية وتشييد الطريقة الشاذلية دار القلم العربي حلب ط1 /2002.

14- الشافعي أحمد بن محمد، المفاخر العلمية في المآثر الشاذلية دار الكتب العلمية بيروت ط1 /2004.

15- الشعراني عبد الوهاب، الطبقات الكبرى دار الكتب العلمية بيروت ط1 /1998.

16- الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، مكتبة المعارف بيروت 1993.

17- ابن صادق علي، إرشاد المريدين لفهم معاني المرشد المعين، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ط 1 /2001.

18- عامر مصباح، الاتجاهات النظرية في تحليل العلاقات الدولية ديوان المطبوعات الجامعة الجزائر 2006 ط 2.

19- ابن عاشور محمد الطاهر، التحرير والتنوير دار سحنون.

20- ابن عجيبة الفتوحات الإلهية دار الكتب العلمية بيروت.

21- عمارة محمد، بين حقائق التاريخ دار السلام القاهرة 2009.

22- الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، دار الكتب العلمية بيروت ط1 /2004.

23- فودة سعيدة عبد اللطيف، تفنيد الأسس النظرية والعلمية للإلحاد، دار ضياء للنشر والتوزيع الكويت 2013.

24- الملاكي، المواهب القدسية في المناقب السنوسية مخطوط رقم 22668 بدار الكتب الوطنية تونس.

25- النجار عبد المجيد، فصول في الفكر الإسلامي، دار الغرب الإسلامي بيروت 1992.

26- الهزايمة محمد عوض، قضايا دولية تركة قرن مضى وقرن آتى دار حوران الأردن 1994.

27- الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي ط1 / 1986.